مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10 /العدد: 01 (2022)، ص 434- 453

مشكلة السلام عند كانط

Kant's Peace Problem

الأستاذة: جبار دليلة[1]

[1]المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة- الجزائر.

rabiehadjem9@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/30 تاريخ القبول: 2021/11/26 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

لقد انتبه كانط إلى أهمية فكرة السلام، وكان أكثر الفلاسفة عناية بهذه القضية، لهذا فإن هدفنا في هذا البحث هو العمل على مشكلة الحرب و السلام التي تهدد مستقبل الدول و أمنها، ومحاولة إيقاف الحروب التي تعتبر عائقا أمام التقدم الأخلاقي و هو ما يحاول كانط تحقيقه من خلال تأسيس "حلف الشعوب"

في النهاية وجدنا أن إرساء السلام بين الناس يكون من خلال إنشاء القانون العام على أساس مبدأ الحرية، لأن الإنسان مدني بطبعه، لذلك يجب أن يعيش في مجتمع منظم، و الإرادة العامة هي المصدر الأساسي لجميع التشريعات، هذه الإرادة هي التي تضمن لكل الأفراد العيش في سلام داخل الدولة الواحدة، ثم الانتقال إلى ضمان السلام الدائم بين مجموعة من الدول عن طريق قانون الشعوب القائم على تحالف سلمي بين مجموعة من الدول المسالمة.

كلمات مفتاحية: كانط ، السلام، الشروط السلبية للسلام، الشروط الإيجابية للسلام؛ الطبيعة؛ الكمال الأخلاقي؛ القانون؛ الحرب؛ الفيلسوف.

Abstract:

Kant noticed the importance of the idea of peace, and the philosophers were most concerned with this issue, there for our goal in this research is to work on the problem of war and peace that threatens the future and security of states, and to try to stop

wars that are an obstacle to moral progress, which Kant is trying to achieve through foundation "peoples alliances".

In the end we found that sending peace among people is through the establishment of common law on the basis of the Principle of freedom, because man is civil by nature, so he must live in an organized society.

-The general will is the primary source of all individuals live in peace within a single state and then move to ensuring the people's law based on a peace full alliance of between groups of peace full states.

Keywords: Kant peace, negative conditions for peace, positive conditions for peace, nature, moral perfection, law, the war, philosopher.

المؤلف المرسل: جبار دليلة

1. مقدمة:

لقد عرفت البشرية ألوانا شتى من الحروب المحلية و العالمية، و التي يظهر فيها الإنسان بصورة أنانية ووحشية كما يقول توماس هوبز (thomas Hobbs 1588-1612) : «الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" ولكن في المقابل هناك صور أخرى للإنسان المسالم و الذي يخاف من الحرب و يكرهها و يسعى جاهدا للقضاء على أسبابها و هذا ما دفع بالبعض إلى مناشدة السلام بكل الطرق و بمختلف الوسائل ومن بينهم الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (Emmanuel Kant 1724-1804) عندما نشر مقاله سنة 1795 " مشروع السلام الدائم."

إن للفكر أسبابه التي تدعوه إلى التفكير دوما، وضد كل ضروب الشرور التي يزرعها البشر في مختلف مدنهم في الوصول إلى أن تكون الدولة اعدل أو من اجل أن يكون الإنسان غاية في ذاته في عالم يسعى إلى سلام دائم، إن هدفنا في هذا البحث هو إلقاء الضوء على مشكلة الحرب التي أصبحت خطرا يهدد أمن الدول باستمرار بنمط إقامة الإنسان في العالم الحالي.

إن محاولة استئصال النزعة العسكرية ونزع السلاح و إيقاف الحروب والحفاظ على الكرامة الإنسانية، و هو ما يحاول كانط أن يحققه من خلال إيقاف الحرب و الابتعاد عن التعصب و القهر و السيطرة و الهيمنة و القوة، إن مشروع كانط لا يتعلق بالمواطنين فقط بل يتعلق أيضا بقادة الدول، و للفلاسفة حق التفكير في السلام الكوني ولكن على قادة الدول و الحكام واجب العمل على تحقيقه على أرض الواقع، و الاقتراب منه أكثر فأكثر لذلك علينا حسب كانط أن نسعى جاهدين من أجل الوصول إلى الأمن و السلام في الدولة الواحدة، وبين الدول الأخرى و حتى عند الإنسان في حد ذاته، فالإنسان يبحث عن العيش في جو تسود فيه الطمأنينة والسلام و السكينة و لا يرغب أبدا العيش داخل الصراعات و الحروب التي تحاول أن تهدد حياته باستمرار، لذلك نحن في عصر صارت الحاجة فيه، إلى الاشتغال على السلم أكثر حده من أي عصر أخر وهذا ما جعل كانط يبحث عن إجابة مقنعة للإشكالية التالية: ما هي الآليات و الشروط و الوسائل التي تمكننا من تحقيق السلام الأبدي الكوني ؟ كيف يمكن الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة القانونية على مستوى الدولة الواحدة ثم على مستوى العلاقات بين الدول ؟ ما الذي يجعل من مطلب السلام مطلبا إنسانيا ملحا ؟

إنّها إشكالية نقترح الإجابة عنها من خلال الاعتماد على مجموعة من المناهج المساعدة على إيجاد الحلول للأسئلة المطروحة أبرزها المنهج التحليلي كمنهج رئيس في البحث القائم على تحليل الأفكار و مقارنتها، و استعنا أيضا بالمنهج التركيبي الذي على أساسه تتجمع و تتكون و تتكامل أفكار الفيلسوف من خلال اقتباس النصوص من مصادر الفيلسوف و من أهمها مشروع السلام الدائم.

و تحقيقا للأهداف المنتظرة من البحث تضمن مقالنا العناصر التالية: نحو السلام الكوني- الأبدي، خصائص و شروط نظرية كانط في السلام الذي تفرع إلى عنصرين أساسيين أحدهما يتناول الشروط السلبية للسلام و الأخر الشروط

الايجابية للسلام ثم انتقلنا إلى العنصر الرابع و عنوانه: دور الطبيعة في ضمان السلام عند كانط، أما في العنصر الخامس تطرقنا إلى علاقة السلام بالكمال الأخلاقي عند كانط وفي الأخير تحدثنا عن علاقة الفيلسوف بمشروع السلام الدائم عند كانـط.

2. نحو السلام الكوني الأبدي:

إن النزعة الإنسانية و حياتها (السياسية، الاقتصادية، الخلقية، الاجتماعية و الدينية)، تجعل من تحقيق الذات الإنسانية هدفا نهائيا للسلوك الأخلاقي و الاجتماعي، لذلك فالواجب حسب كانط هو تنمية المشاعر الإنسانية اتجاه الآخرين، ثم الانتقال إلى المشاعر العالمية.

- لقد بيّن لنا كانط أن البعد الإنساني، التواصلي أي فكرة التعايش مع الأخر تحملها كل ذات بالقوة لذلك علينا حسب كانط " أن يكون ذلك ماثلا على الدوام في أذهان المسؤولين عن المخطّطات التربوية، بحيث يجب أن لا يربّي الأطفال فقط بحسب حالة النوع البشري الراهنة، بل بحسب الحالة الممكنة التي تكون أفضل منها في المستقبل، أي وفق الإنسانية و غايتها الكاملة" (كانط، 2005 ،ص5)، لذلك يجب أن نوّكل مهمة تنمية الإنسانية إلى المربيين من أجل بلوغ الكمال أي تجسيد و تحقيق صفة الكوني الإنساني على مستوى الواقع و التاريخ، فتصبح الإنسانية جمعاء تتقدم وفق تاريخ كوني بحيث تنتصر فيه القيم الأخلاقية و الفضائل الإنسانية ما يسمح بإمكانية قيام سلام كوني أبدي .

إن مصير الجنس البشري و سلامه يتوقف حسب كانط على تحقيق كماله الأخلاقي الأسمى تلك هي الغاية العامة للجنس البشري و في تحقيقها يتحقق السلام بالضرورة « و من أجل بلوغ الأنوار و إحراز التقدم يجب أن يكون هناك سلام مدني، و إذا كان هناك تقدم ، فعندئذ يكون السلام العالمي ممكنا و بالتالي فإن النظام المدني هو نموذج مثالي يتوافق مع أفق التاريخ البشري ، و الغرض من

التاريخ في حد ذاته هو أن نوّجه مستقبل البشرية نحو عهد السلام العالمي والعالمية » (Kant, 2013, P 80) .

لقد حاول أفلاطون(347 -427 ,Platon) بمحاولة إقامة دولة تسود فيها العدالة

و الحق الأمثل و الكامل و لكن وصلنا معه في النهاية أن ما يريده أي القوانين التامة الكاملة ذات صلاحية كونية تبدو مستحيلة على أرض الواقع ، فإن كانط كان أكثر جرأة من أفلاطون ، فهو لم يعمل على البحث على سعادة الإنسان إلى ما وراء العوالم و إنما أراد تجسيدها في العالم الواقعي ، هي السعادة التي لا يمكن أن تكون شيء آخر سوى بلوغ سلام كوني أبدي.

إن مشروع السلام الدائم عبارة عن عنوان أخذه كانط حسب روايته من فندقي هولندي الذي رسم على واجهة محّله مقبرة نحت عليها هذا القول « نحو سلم أبدية » و كأن كانط قام بأخذ هذا الشعار من مجاز المقبرة و قام بتحويله إلى مشروع السلام داخل المدينة.

فالسلم لدى كانط لن يكون مجرد شعار يرمز إلى صمت المقبرة، إنما هو إمكان بشري لمجتمع مدني قائم على دولة الحق الكسموسياسي ، فالسلم في السياق الكانطي هو هدف كل دولة و غاية كل اجتماع بشري و هو يختلف عن ما يبحث عليه الفلاسفة في مدنهم الفاضلة مثل : دولة العدل و الفضيلة أو الخير أو السعادة عند كل من أفلاطون ، الفارابي و أوغسطين ، و إنّما مدينة كانط هي مدينة السلم أساسيا ، لذلك يظل السلام بالنسبة لكانط واجبا و في غيابه كما يقول كانط في كتابه « مشروع السلام الدائم » : « ستواجه البشرية الآن الاختيار بين السلام الدائم و السلام الأبدي ، إن ما يريده كانط ليس السلام الموجود في المقبرة و إنما ما يريده هو السلام الدائم في المجتمع المدني أي الانتقال من أبدي الموتى الساكن إلى ديمومة الزمن البشري و لا يريد أن يخاطر الإنسان بمشروعه

حول السلام الدائم لينتهي به في المقبرة العظيمة من الجنس البشري (Kant,1985, P 46) .

إن كانط يهدف إلى إرساء السلام بين الناس عن طريق إقامة القانون العام على أساس مبدأ الحرية يتحقق السلام على مستوى الدولة لأن الإنسان مدني بطبعه ، فينبغي أن لا يكون المجتمع الذي يعيش فيه مجتمعا همجيا ، بل يجب أن ينظم تنظيما يسمح لكل فرد أن يمارس حريته و لقد أشار إلى هذه الفكرة في كتابه " فلسفة التاريخ" قائلا : « إن المشكلة الأساسية للنوع الإنساني هو تحقيق مجتمع مدني ، لان الإنسان مدني بطبعه ، و هو دائما عضو في مجتمع ، فينبغي أن لا يكون هذا المجتمع همجيا ، بل يجب أن ينظم تنظيما يتيح لكل فرد فيه أن يمارس حريته و أن يحقق غايته الأخلاقية ، و ذلك المجهود لتحقيق تلك الغاية هو الحرية في صميمها و مبادئ التشريع هي الكفيلة بهذا التنظيم » (Kant, 1947, P 33).

لقد أراد كانط أن يكون الإنسان عضو في مجتمع مدني قائم على العدل والمساواة ، بمعنى المجتمع الذي يعلم مواطنيه كيف يتم الارتقاء إلى مستوى المواطن في العالم في إطار فضاء عمومي قائم على مبدأ الكونية و العمومية والشمولية هذا هو المجتمع الكفيل بالسير نحو السلام الدائم.

3. خصائص و شروط نظرية كانط في السلام .

1.3 الشروط السلبية :

لقد كتب كانط مشروع السلام الدائم فصاغه على شكل مواد محددة بسط فيها الشروط الضرورية التي تجعل انتهاء الحروب أمرا ممكنا ، و لقد بدأ بصياغة ست مواد أوّلية تبّين الشروط السلبية للسلام و أول هذه المعاهدات تنص على « إن معاهدة من معاهدات السلام لا تعد معاهدة إذا انطوت نية عاقديها على أمر من شأنه إثارة حرب من جديد ». (كانط ،1952 ، ص 13)

تنص هذه المعاهدة على أنه لا يجوز أن تتضمن معاهدات السلام بذور حرب مقبلة أي استبعاد كل أسباب الحروب في المستقبل بين الدول الموقعة عليها.

و تنص المعاهدة الثانية على « إن أي دولة مستقلة صغيرة كانت أو كبيرة ، لا يجوز أن تملكها دولة أخرى بطريق الميراث أو التبادل أو الشراء أو الهبة » (كانط، 1952 ،ص13) ، إن الدولة ليست ميراثا ، إنما هي عبارة عن مجتمع بشري لا يجوز لأي أحد أن يتحكم فيه ، و لا يحق لأي أحد أن يتصرف ما لم يكن عضو من هذا المجتمع ،و في هذه المعاهدات نجد مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

أما المعاهدة الثالثة تدعو إلى زوال الجيوش ،و نزع السلاح قائلا : « يجب أن نلغي الجيوش الدائمة إلغاء تاما على مر الزمان » (كانط ، 1952، ص 28) لأن استئجار جنود للقتل هو بمثابة معاملة الناس على أنهم مجرد آلات أو أدوات بين أيدي الغير (الدولة) و هذا لا يتفق أبد مع حق الإنسانية في شَخصنا على حد تعبير كانط.

المعاهدة الرابعة تنص على « لا يجوز لأي دولة أن تقترض ديونا من "أجل نزاعاتها الخارجية » (كانط، 1952، ص29) أي بمعنى لا يحق لّأي دولة اعتماد سياسة الاقتراض لتمويل نزاعاتها الخارجية، فالديون الخارجية و الداخلية تفيد إن كان الغرض منها تنمية موارد الدولة و مرافقها ، لكنها تصبح ضارة إذا كان الغرض منها امتلاك قوة مالية خطيرة و كنزا مدخرا لإشعال الحرب.

فيما يتعلق بالمعاهدة الخامسة تنص على « لا يجوز لأي دولة أن تتدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في طريقة الحكم فيها » (كانط ،1952، ص31) يقصد كانط من خلال هذه المعاهدة أنه لا يحق لأي دولة التدخل بالقوة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى ، لأن هذا يعتبر تدخل غير مبرر في استقلالية الدول ، خاصة في نظام حكمها و دستورها الخاص بها.

و آخر هذه المعاهدات هي « لا يجوز لأي دولة في حرب مع دولة أخرى أن تسمح لنفسها القيام بّأعمال عدائية مع تلك الدولة كالاغتيال و التسميم وانتهاك شروط الاستسلام و التحريض على الخيانة من شّأنها عند عودة السلم فقدان الثقة بين الدولتين» (كانط ،1952، ص32).

إن كانط من خلال هذه المعاهدة يوّضح لنا ضرورة الالتزام في حالة قيام الحرب بعدم استعمال الأساليب الخشنة مع العدو لأن ذلك يؤدي إلى غياب الإحساس بالروح الإنسانية و من الصعب إذا عاد السلام بعد حرب استخدمت فيها أبشع الوسائل أن تعود الثقة ثانية بين الدول المتحاربة ، و تستأنف العلاقات العادية كما كانت من قبل.

هذه هي المواد الستة التمهيدية ، و هي عبارة عن مواد ناهية و بعضها يعتبرها كانط إلزامية أي يجب مراعاتها مهما كانت الظروف من أجل استبعاد الحروب والحفاظ على استقلالية الدول

و سيادتها و هي عبارة عن شروط أوّلية لابد منها للاقتراب من تحقيق مشروع السلام الدائم بين الدول.

2.3.الشروط الإيجابية للسلام :

إن طبيعة النظام السياسي الذي تخضع له الدولة هو كذلك وسيلة من شّأنها أن تقربنا من تحقيق السلام الكوني – الأبدي ، لكن السؤال الذي طرحه كانط في مشروعه للسلام الدائم : ما هو النظام المناسب الذي يمكن أن يؤدي إلى إيجاد السلام الكوني؟ أجاب كانط عن هذا السؤال أن « يجب أن يكون النظام المدني لكل دولة نظاما جمهوريا » (كانط ، 1952 ، ص 15) يقصد كانط من هذه المادة أن السلطة التشريعية التي تقرر الحرب يجب أن تكون صادرة عن إرادة الشعب و أن تفصل عنها السلطة التنفيذية فصلا تاما ، و هذا النوع من الحكومة حسب كانط هو أنسب الأنواع لمبدأ الحرية و المساواة و هو في نفس الوقت أنسبها لتحقيق السلام . «

إن النظام الجمهوري [*]هو تعبير عن الينبوع الصافي لفكرة الحق له أيضا ميزة كونية يجعلها نأمل في السلام الدائم.» (كانط،1952،ص44)

المادة الثانية هي « يجب أن يكون قانون الشعوب على التحالف بين دول حرة » (كانط ، 1952، ص 15) إذا استطاعت معاهدات السلام وضع حد لحرب راهنة فإنها غير قادرة على إلغاء وإصلاح حالة الحرب الكامنة في النفوس ، إن العقل حسب كانط هو المنبع الأعلى لكل تشريع أخلاقي ، فهو ينكر إطلاقا أن تكون الحرب سبيلا من سبل الحق ، و يجعل بذلك حالة السلم واجبا مباشرا (كانط ، 1952 ، ص16)

إن الوسيلة الوحيدة لاستئصال حالة الحرب من النفوس هو تحويل العلاقات الدولية من حالة الطبيعة إلى حالة الشريعة و تنظيم الأمم كلها « مدينة حرة » مثلها في ذلك مثل الأمم نفسها قامت على تعاقد حر بين الأفراد و بعبارة أخرى جمع شملها «تحالف سلمي» و يقوم على أساس الحرية و كل دولة تسعى إلى الانتفاع بثمرات نظام يضمن لها سلامتها من كل اعتداء أجنبي إذا كان الأفراد داخل الدولة يمكنهم العيش في سلام و هذا عن طريق خضوعهم للقانون ، فهذه المسألة ليست بالضرورة صحيحة فيما يتعلق بمجموعة من الدول ، لأن كانط أدرك على وجه التحديد أن مسألة العلاقات بين الدول تحتاج إلى حل آخر ، و هو قانون الشعوب (*) القائم على تحالف بين دول حرة ، إنه الهدف الذي يجب أن تسعى إليه جهود الدول المسالمة جميعا (Adelino Braz ,2016,p144)

---

[*]- النظام الجمهوري: أو الدستور الجمهوري هو المستمد من الإرادة العامة التي يجعل من الناس شعبا ، و من هذه الوجه تكون الدولة جمهورية أو استبدادية ، فالحكم « الجمهوري» هو الذي يسلم بفصل السلطة التنفيذية (أي الحكومة) عن السلطة التشريعية ،و أما الحكم « الاستبدادي » فهو الحكومة التي يتولى فيها رئيس الدولة بمحض إرادته تنفيذ القوانين التي شرعها بنفسه فهو حكم تقوم فيه الإرادة الخاصة (أي إرادة الحاكم) مقام الإرادة العامة أي (إرادة الشعب)، أنظر: إيمانويل كانط ، مشروع السلام الدائم ، ط1 (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية 1952م) ص46

أما المادة الثالثة أو الشرط الإيجابي الثالث لتحقيق السلام يدعو غيه كانط إلى «حق النزيل الأجنبي من حيث التشريع العالمي مقصور على إكرام مثواه» (كانط ، 1952 ، ص61) و يقصد بذلك أن الحق العالمي يجب أن يقتصر على شروط الضيافة العامة ، التي تتمثل في "الإكرام" أي من حق كل أجنبي في ألا يعامل معاملة العدو في البلد الذي يحل فيه ، مادام[1] مسالما و لا يجوز اتخاذ موقف عدائي منه طالما بقى هادئا في مكانه، إن حق الأجنبي مقصور على "حق الزيارة" و هو حق كل إنسان أن يجعل نفسه عضوا في المجتمع بمقتضى مشاركته في ملكية سطح الأرض التي نعيش فيها.

تلك هي شروط السلام الدائم التي يستطيع الفيلسوف أن يحددها نظريا و قبل التجربة ، و لكن مهمة الفيلسوف لا تقتصر فقط على التحديد النظري ، كما قام بذلك أفلاطون في جمهوريته ، الذي أراد أن يحقق مجتمع يشبه مجتمع الآلهة ،و إنما على الفيلسوف اللجوء إلى عالم الواقع ، ليدرك أن فكرة السلام ليست فكرة مستحيلة يصعب تحقيقها بل هي ممكنة عن طريق اتحاد مجموعة من الإرادات الخاصة و استبدالها بالإرادة العامة المصدر الأول لكل تشريع، و لقد أشار

روسو (Rousseau 1712-1778) إلى هذه الفكرة في كتابه " العقد الاجتماعي" ،«الإرادة العامة الحقانية هي إرادة الشعب و هي إرادة لا تموت و لو خنق صوتها اللهّم أن يموت الشعب و معنى ذلك أن الإرادة العامة هي التي تسير و تحكم الشعب و القانون هو تعبير عن الإرادة العامة » (روسو، د ت، ص19)

(*) قانون الشعوب : هو قانون الأمم أو قانون البشر أو « القانون الدولي العام » كما يقال اليوم و هو القانون الذي ينظم علاقات الدول ببعضها البعض، أو القانون العالمي من حيث اعتبارنا الناس و الحكومات في علاقاتهم الخارجية و في تأثير بعضهم البعض ، و كأنهم مواطنون لمدينة إنسانية شاملة ،أنظر: إيمانويل كانط مشروع السلام الدائم ، ص 40 .

إن الإرادة العامة عند كانط هي التي تضمن لكل الأفراد العيش في سلام داخل الدولة الواحدة ، ثم الانتقال إلى ضمان السلام بين مجموعة من الدول عن طريق قانون الشعوب القائم على تحالف سلمي بين مجموعة من الدول المسالمة .

4 .دور الطبيعة في ضمان السلام عند كانط

إن إرادة البشر تلعب دورا أساسيا في تحقيق السلام الأبدي عند كانط ، ولكن هل هذه الإرادة كافية لقيام سلام كوني – أبدي وسط الصراعات و الحروب الموجودة على مستوى الواقع؟

لقد أجاب كانط على هذا السؤال : فالعناية الإلهية أو كما يسميها كانط بالطبيعة هي المسبب و الضامن الرئيسي للسلام ، فقد هيأت للسلم من خلال قوانينها بحيث تنحصر تدبيراتها المؤقتة فيما يلي : أنها هيأت الناس للعيش في جميع أنحاء الأرض ، كما أنها جعلتهم بواسطة الحرب ينتشرون في كل بقعة من الأرض ليعمروها و في الأخير أرغمتهم بنفس الوسائل أي الحرب إلى عقد صلات متفاوتة في القانون أي بمعنى شرعية و غير شرعية (عبد الرحمن بدوي، 1979 ، ص239).

لقد بحث كانط عن الضامن الجوهري لفكرة السلام الأبدي ووجده متوفرا في الطبيعة بحيث يقول : «و المسألة التي تعرض لنا الآن تتصل بما هو جوهري بالنسبة للسلام الدائم ، و هي النظر فيما تصنعه الطبيعة تحقيقا لهذا القصد ، لكي نصل بالإنسان إلى الغاية التي يوجهها عليه عقله ، و بالتالي لكي تناصر غايته الأخلاقية ،و النظر في أي نوع من الضمانات تقدمه الطبيعة لضمان السلام الأبدي » (كانط، 1952 ص 76.)

إن ما يجب على الإنسان أن يفعله وفقا لقوانين حريته بحيث يكون ملزما بالقيام به على الرغم من هذه الحرية ، إلزاما من الطبيعة يتناول الجوانب الثلاثة من القانون العام : القانون المدني وقانون الشعوب و القانون العالمي.

الطبيعة تستخدم ميول الناس من لأجل إقرار الإرادة العامة القائمة على العقل.

أولا : لقد وجد كانط أن الدستور الجمهوري هو وحدة الضامن لحقوق الناس ،و لكنه أصعب الدساتير قياما ، لأنه يقتضي وجود شعب من الملائكة ، فالإنسان منذ نشأته مفطور على الأنانية و حب المصلحة و المنفعة الخاصة ، لذلك فهو عاجز على بلوغ مثل هذا النظام الرفيع ، و لكن كانط وجد حلا آخر لهذه المعضلة و هو الطبيعة التي تستعمل هذه الميول نفسها لتكون في عون الإرادة العامة القائمة على العقل.

إن الإرادة العامة عند كانط لا تستطيع القيام بدورها كما ينبغي من حيث الجانب العملي و التطبيقي و هذا راجع إلى طبيعة الإنسان في حد ذاتها ، لذلك علينا اللجوء إلى وسيلة أخرى لتنظيم الدول تنظيما حسنا و لائقا ، و هي التلاحم و التضامن وتضافر الجهود البشرية من أجل القضاء على الميول و الدوافع الفطرية و خاصة منها السيئة و بالتالي يصبح كل فرد مجبرا على أن يكون مواطنا صالحا إن لم يسعفه الحظ أن يكون حميد الأخلاق.

علينا استخدام آلية الطبيعة لتوجيه استعدادات الناس المتعارضة توجيها يجعل جميع أعضاء الشعب يلتزمون و يخضعون لقوانين قاهرة و هذا يؤدي بهم إلى إنشاء حالة سلمية تقوم على القوانين ، إن الطبيعة تريد بإرادة لا سبيل إلى معارضتها ، أن يكون النصر لمبادئ الحق و مناصرة السلام في داخل و خارج الدول (كانط ،1952 ، ص 78.)

اختلاف اللغات و اختلاف الأديان ،و هو عامل من عوامل زيادة تحالف و تقارب الناس في المبادئ ، فالاختلاف يؤدي إلى التفاهم في حضن السلام يتم بفضل توازن القوى وسط تنافس شديد جدًّا (عبد الرحمن بدوي1979 ، ص 241).

إن الطبيعة تجمع بين الدول عن طريق رفع التجارة و تنشيطها كوسيلة للحصول على المال ، روح التجارة تدعو إلى السلام و تجنب الحرب حتى لا تكون عائقا عن التجارة.

فالطبيعة يفضل سير الميول الإنسانية نفسها تضمن السلام الدائم إلا أن هذا الضمان ليس كافيا كي يمكن التنبؤ بحدوثه في المستقبل ، و لكنه يكفي من الناحية العملية لأنه يدفعنا دائما إلى السير في هذا الاتجاه الذي ليس خياليا محضا حسب كانط.

إن الميول النفعية و حب الذات و المصالح الخاصة هي وسائل تستخدمها الطبيعة لدفع الناس إلى إحلال السلام الدائم وخاصة روح التجارة التي لا طالما استولت على نفوس الدول و كانت دافعا في الحصول على الثراء و المال الذي هو عصب حياتنا.

5. علاقة السلام بالكمال الأخلاقي عند كانط :

إن سلام الجنس البشري يكمن في تحقيق الكمال الأخلاقي الأقصى الإنسانية ، لذلك فمشكلة السلام عند كانط هي مشكلة أخلاقية ، فالأمل في تحقيق سلام كوني أبدي يسود العالم بأكمله مرهون كله بالتربية الأخلاقية التي تهدف إلى تكوين العقل الراشد المستنير . إن التقدم نحو السلام لا يتم إلا بالتربية الصالحة ، هذه الأخيرة يجب أن تبنى على مبادئ الحق و أن تعمل من أجل تنمية المواهب الطبيعية و تكون شخصية الإنسان على أساس المبادئ الأخلاقية القائمة على مفهومي الواجب و القانون و يقول كانط في هذا السياق: « أما التربية الأخلاقية فلابد من أن تقوم على مبادئ لا على الانضباط ، فهذا الأخير يمنع العيوب و الأخرى تنمي طريقة التفكير (كانط ، 2005 ، ص 58).

إن أثار التربية الأخلاقية ستصل إلى كل طبقات الأمة ،بما فيها الطبقة الحاكمة ،لذلك مع التطور الزمني سنحاول أن نعلم و نشكل عقول الناس على أساس

الفضيلة و مبادئ الخير و إذا تم هذا فقد تم البناء الحقيقي للدولة على أساس ثابت قوي ، و في تحقيقه يتحقق أقصى كمال ممكن للطبيعة البشرية « إن تحقيق مملكة الله على الأرض حيث العدالة و المساواة و السلام ليس نابعا من الحكومات و الحكام بل نابع من الضمير الذي بداخلنا و الإرادة الأخلاقية إذا تحكم العالم ، هذه هي الغاية النهائية و المصير الذي يمكن للجنس البشري أن يبلغه و هو الكمال الأخلاقي الأقصى» (فريال حسن خليفة، 2001 ، ص158)

إن مشروع السلام الدائم عند كانط مشروع عالمي دعا في بنوده إلى أن نعمل من أجل السلام و العمل من أجله يقتضي إعداد الإنسان بواسطة التربية و الأخلاق.

لقد أراد كانط تأسيس « النظام الاتحادي» الذي ينبغي أن يمتد شيئا فشيئا إلى الدول جميعا ، فيؤدي بها إلى السلام الدائم «لأنه إذا شاء الحظ لشعب قوي مستنير أن يتنظم في حكومة جمهورية و هي الحكومة التي تميل بطبعها إلى السلام الدائم فسوف تكون هذه الجمهورية مركز للحلف الإتحادي أو الارتباط العام بين الدول إن تستطيع الدول الأخرى أن تنظم إليها وفقا لفكرة القانون الدولي» (كانط، 1952 ، ص ص ، 56 57).

إن هذا الحلف الاتحادي أو الارتباط الذي يتحدث عليه كانط هو في جوهرة توحيد أخلاقي و فيه تصبح مسألة السلام واجب أخلاقيا ، وقاعدة توّجه العقل و هو يصدر أوامره بطريقة غير مشروطة « يجب أن لا يكون هناك حرب » و بفضل هذا النظام الاتحادي تقترب الشعوب ببعضها للبعض و تتسع خطواتها من أجل السعي إلى تحقيق الخير الأقصى الأخلاقي كخير عام و شامل أو سلام بين البشر.

إن الأخلاق عند كانط قائمة على أساس قانون عام و شامل يسري وفق مبدأ الحرية ،و هو صالح لجميع الناس ، كذلك اهتم بالسلام لكنه سلام كوني تحققه إرادة البشر ،سلام عام لا يختص به إنسان دون آخر ،بل هو سلام يشمل الإنسانية

بأكملها فكما أن الأخلاق عند كانط هي أخلاق عالمية كونية كذلك فالسلام عنده أيضا سلام كوني عالمي.

6.علاقة الفيلسوف بمشروع السلام الدائم عند كانط :

تحدث كانط في مشروع الدائم عن ضرورة اهتداء الممارسة السياسية بالنظريات و الأخلاق الفلسفية ، عن طريق تدوينه لمادة سرية خاصة بالسلم ، وقد اعتبرها كانط أخطر المواد بالنسبة للفيلسوف في علاقته بسياسة الدولة ، إن وضع هذا البند السري أمر فيه تناقض من الناحية الموضوعية و لكنه ممكن من الناحية الذاتية ،أي من حيث صفة الشخص الواضع له ، لأنه يخشى و يخاف على مركزه السياسي إ ذا صرّح بأنه واضع هذا البند السري.

تنص المادة السرية التي وضعها كانط في مشروع السلام الدائم على مايلي :« يجب أن توضع أحكام الفلسفة ، فيما يتعلق بشرط السلام الدائم ، موضع الاعتبار لدى الدول المجهزة للحرب » (كانط، 1952 ، ص 83)

يقصد كانط من خلال قوله أنه يجب على السياسيين دعوة الفلاسفة والسماح لهم بإيداء أرائهم في شأن الحرب و السلم بكل حرية ، فالفيلسوف لا يطلب من الدولة شيئا غير أن تستمع إليه، و تستشيره في كل ما يتعلق بالمبادئ العامة في معالجة موضوع الحرب و السلم .

إن الدولة لا تحتاج إلى قانون خاص أو اتفاق بين المسؤولين لتقرر تدخل أو عدم تدخل الفلاسفة في شؤون سياسة الدولة ، لأن ذلك متضمن من قبل في الإلزام المستمد من العقل الكلي الشامل أو العقل الأخلاقي المشرّع .

إن كانط في بنده السري لا يعنى أن الدولة يجب أن تعطي الأولوية لمبادئ الفلسفة على القوانين السياسية التي تشرعها الدولة بل تطلب من الحكام فقط الاستماع لأراء الفلاسفة ، إن الدولة تدعو رعاياها سرا ، إلى التعبير عن آرائهم والتحدث بحرية و صراحة عن الأحكام العامة المتعلقة بالحرب

و السلم (لأنهم لا يلبثون أن يصرحوا بآرائهم من تلقاء أنفسهم ما لم يمنعهم من ذلك مانع) (عبد الرحمن بدوي ، 1979، ص 243)

و لسنا أن ننتظر أبدا أن يصبح الملوك فلاسفة ،أو أن يصبح الفلاسفة ملوكا ، كذلك لا ينبغي أن يكون ذلك مأمولا لأن امتلاك السلطة يفسد حقا الحكم إلى العقل، (كانط 1952، ص86) ، إن الملوك بالنسبة لكانط أو كما يسميها الشعوب المالكة . و يقصد بذلك (التي تحكم نفسها طبقا لقوانين العدل و المساواة) لا ترضى بأن تختفي طبقة الفلاسفة أو تلتزم الصمت و لا نأخذ بعين الاعتبار آراء و أفكار هذه الفئة المثقفة التي تلعب دورا أساسيا في إرشاد وتوجيه الطبقة الحاكمة إلى طريق الصواب و خاصة فيما يتعلق بطريقة تعاملها مع الدول الأخرى ، لأن هذه الطبقة (الفلاسفة) هي بطبعها غير قادرة على تشكيل التجمعات و الأندية حتى تحوم حولهم شبه الدعاية على حد تعبير كانط ، لذلك علينا أن نترك للفلاسفة حرية التعبير عن أفكارهم و الإفصاح عنها بكل صراحة و شفافية لأننا بحاجة إليهم في تسيير أمور وشؤون الدولة تسييرا محكما .

إن كانط يقصد بالمادة السرّية للسلام الدائم أن يبقى أمر استشارة الدولة للفلاسفة في الشؤون العامة أمرا سرا بين الدولة و الفلاسفة ، حتى لا تشعر الدولة بأية إهانة و هي صاحبة السلطات والهيمنة (عبد الرحمن بدوى ، 1979 ، ص 245) .

إننا لا يجب أن نثق بالدولة ثقة مطلقة لأنها أكبر حكمة و أدري ببواطن الأمور و الأدرى بمصلحة الشعب و الأوسع علما من كل عالم و الأحكم من كل حكيم ... الخ و هذا ما تدعيه الدولة لنفسها ، و هذه هي العبارات الشائعة التي يرددها الحكام المستبدين من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافهم و مصالحهم الخاصة على حساب المصلحة العامة ،هؤلاء الحكام بالنسبة لكانط كانوا في الحقيقة أجهل الجاهلين و أقل الناس قدرا من الفهم و سلامة الحكم على الأمور.

كما أن كانط وجَّه نقده اللاذع إلى فقهاء القانون ، لأنهم مستعبدون للقوانين القائمة ، و مع ذلك يظنون أنهم سادة القانون ، كما أنَّهم يقدسون القوانين القائمة و لا يتصورون أن من الممكن إصلاحها.

إن ما يطلبه كانط من الحكام وفقهاء القانون هو أن لا يكتموا أصوات الفلاسفة ،بل يتركونهم يعبرون عن وجهات نظرهم و مواقفهم دون إكراه ، خصوصا وأنه لا خطر على الحكام من الفلاسفة ، لأن الفلاسفة لا يؤلفون أحزابا سياسية و لا جمعيات عامة مقارنة بما يفعله السياسيون .

خاتمة

لقد جعل كانط من الذات الإنسانية هدفا نهائيا للسلوك الأخلاقي و الاجتماعي، لذلك يجب علينا تجسيد و تحقيق الكوني الإنساني على مستوى الواقع و التاريخ فتصبح الإنسانية تتقدم وفق تاريخ كوني الذي تنتصر فيه الفضائل الأخلاقية الإنسانية، ما يسمح بإمكانية قيام سلام كوني أبدي الذي يتوافق مع أفق التاريخ البشري لأن الغرض من التاريخ هو أن نوّجه مستقبل البشرية نحو السلام العالمي.

فالمجتمع الذي يهتم بترقية مواطنيه إلى مستوى المواطن في العالم، و ذلك في مجتمع قائم على مبادئ العدل و المساواة و الكونية و العمومية هذا هو المجتمع الكفيل بالسير نحوى السلام الدائم

و من أجل تجسيد هذا المشروع (السلام الدائم) واستبعاد الحروب ، قام كانط بصياغة مجموعة من المعاهدات التمهيدية ،و هي عبارة عن مواد ناهية وبعضها يعتبرها كانط إلزامية يجب مراعاتها من أجل القضاء على الحرب ، و الحفاظ على سيادة و استقلال الدول ، و هي عبارة عن شروط سلبية لكن ضرورية لتحقيق السلام بين الدول ، لكن هذه المواد غير كافية للوصول إلى الهدف المنشود حسب كانط ، و إنما هناك مجموعة من الشروط الإيجابية أوّلها النظام الجمهوري الذي

يعتبره كانط أنسب الأنظمة لتحقيق مبدأ الحرية و المساواة التي تؤدي بدورها إلى تجسيد السلام في المجتمعات.

أما فيما يتعلق بتنظيم العلاقات بين الدول يحتاج إلى قانون الشعوب القائم على تحالف بين دول حرة ، كما أن الحق العالمي يجب أن يقتصر على شروط الضيافة العامة التي تتمثل في إكرام النزيل الأجنبي في جميع البلدان ،و هو حق كل إنسان يعيش في مجتمع معين.

كما أن كانط وجد في الطبيعة الضامن الجوهري لفكرة السلام الأبدي عن طريق التلاحم و التضامن فتضافر الجهود البشرية و هذا من أجل القضاء على الميول و الدوافع الفطرية و خاصة منها السيئة عن طريق إعطاء الأولوية لمبادئ الحق و مناصرة السلام في داخل و خارج الدول.

لقد كان المجتمع الكوني الأخلاقي عند كانط التقاء لضمائر الإنسانية وانسجامها في وحدة تعاون واحترام الكرامة الإنسانية و العدالة و المساواة ، أما الحرب بالنسبة له ما هي إلاّ مثال للدمار و الخراب و الفوضى لذلك علينا أن نسعى جاهدين للقضاء عليها عن طريق الالتزام الشخصي الحر لمجموعة من القوانين ، هذا الالتزام يعتبره كانط قيمة أخلاقية في ذاته ، يساعد على تنمية حركة التقارب بين الشعوب و يحفز روح المنافسة على التسابق نحو الأفضل حيث يعد السلام الكوني الأبدي يؤلف أروع مكسب تحققه الإنسانية المتطورة.

لقد نظر كانط إلى الإنسان نظرة شمولية كونية ، أخلاقية و سياسة جعلت من السلام قضية أخلاقية من قضايا العقل البشري يعتبر أساس كل تشريع و هو المنبع الأساسي لكل تشريع أخلاقي يرفض الحرب بكل صورها و يجعل من السلام واجبا يسعى إليه كل إنسان عاقل.

إن السلام عند كانط هدف كل دولة و غاية كل اجتماع بشري و هو المقصد الأخير لكل المدن الفاضلة التي تحدث عنها الفلاسفة جميعا ، إن المدينة التي يشتغل

عليها كانط ليست مدينة للفضلية أو العدل أو الخير أو السعادة ، كما كانت عند أفلاطون و أوغسطين و الفارابي إنما هي مدينة السلم أساسا.

إن مشروع السلام عند كانط مشروع فلسفي هدفه تهذيب الإنسان الحديث و تربيته على أساس مبادئ الحق و العدل و المساواة وفن التعايش مع الآخر في كنف السلم و الاستقرار ، و نبذ كل أشكال العنف و الحرب و الفساد واستبدالها بالضيافة الكونية بوصفها مبدأ لإقامة مجتمع السلم الدائم .

إن كانط وضع مادة سرّية تتعلق بدور الفلاسفة في تحقيق السلام ، بحيث يجب استشارتهم والاستماع إلى آرائهم وأفكارهم التي تساعدنا في تسيير شؤون الدولة وخاصة المتعلقة بمسألة الحرب والسلم.

لقد كان لفكرة السلام عند كانط بعدا عالميا و كونيا في القضاء السلمي الحالي و ذلك مند تأسيس المجتمع الأممي في جنيف ، كما أن هذه الفكرة اتخذت من الحرب العالمية الثانية واقع ملموس في المؤسسات والمبادرات السياسية ،و ما يحدث الآن في القرن العشرين جعل تطور هذه الفكرة أمرا ملحا نتيجة للصراعات و الحروب والنزاعات القائمة داخل الدول و بين الدول التي أصبحت مسألة السلام بالنسبة لها مطلبا و غاية تسعى من أجل تحقيقها.

و في الأخير توصلنا أن مشروع السلام الدائم عند كانط عبارة عن مسؤولية الفيلسوف اتجاه مجتمعه واتجاه الإنسانية بصفة عامة ، فالفيلسوف لا يجب أن يبحث فيما إذا كان هذا المشروع واقعيا أو خياليا ، و إنّما ينبغي أن نعمل من أجل وضع حدا للهلاك الناجم من الحرب و هذا لا يتحقق إلاّ بتجسيد فكرة السلام في المجتمعات.

المصادر والمراجع:

- **قائمة المصادر باللغة العربية :**

1. كانط (1952) . مشروع السلام الدائم. ترجمة د/عثمان أمين . مكتبة الأنجلو المصرية .(ط1). القاهرة.
2. كانط (2005) . تأملات في التربية ، ما هي الأنوار ؟ ما التوجه في التفكير . ترجمة .محمود بن جماعة . دار محمد علي النشر. (ط1) .تونس.

- **قائمة المصادر باللغة الأجنبية :**.

.1 Kant. (1947) .la philosophie de l'histoire .Tr.stephane piobetta. montaigne. Paris.

.2 Kant. (1985). pour la paix perpétuelle .Tr. Joêl lefebre. presse universitaire de Lyon. paris.

.3 Kant. (2013). qu'est-ce que les lumières.Tr.anne laure Romeur .Larousse. Paris.

- **قائمة المراجع باللغة العربية :**

1. بدوي عبد الرحمن .(1979). فلسفة القانون و السياسة. و كالة المطبوعات. (ب ط) .الكويت.
2. بلكفيف. سمير. (2011). إيمانويل كانط. (فيلسوف الكونية). دار الأمان. (ط1). الرباط .
3. حسن خليفة فريال. (2001). الدين و السلام عند كانط .مصر العربية للنشر و التوزيع .(ط1). القاهرة.
4. روسو . جان جاك .(د ت). العقد الاجتماعي. ترجمة ذوقان قرقوط. دار القلم. (د ط) .بيروت.

- **قائمة المراجع باللغة الأجنبية**

1- Braz .Adelino. (2016) Kant (Connaitre en citation) . ellipes . Paris